للَّه دري

يصف حاله ويذكر جور قومه وظلمهم له:

[الطويل]

إذا فـاضَ دمـعـي وَاسـتـهـلّ عـلـى خـدّي
وَجـاذَبَـنـي شـوْقـي إلـى الـعَـلَـمِ الـسـعـدي[١]

أُذَكِّـرُ قَـوْمـي ظُـلـمَـهُـم لـي وبَـغـيَـهُـمُ
وَقِـلّـةَ إنـصَـافـي عـلـى الـقـرْبِ وَالـبُـعْـدِ[٢]

بَـنَـيْـتُ لـهـمْ بـالـسـيّـفِ مَـجْـداً مُـشَـيَّـداً
فـلـمّـا تَـنـاهـى مـجْـدُهُـمْ هـدمـوا مـجـدي[٣]

يَـعـيـبـونَ لَـوْنـي بـالـسّـوَادِ وَإنّـمـا
فِـعـالـهـمُ بـالـخُـبـثِ أسـوَدُ مـن جـلْـدي[٤]

---

(١)، (٢) استهلّ الدمع: بدأ ينصب. العلم: الجبل. السعدي: نسبة إلى سعد أحد أجداد عبس. يُبكي الشاعرَ شوقهُ إلى جبل نشأ إلى جانبه وظلم عشيرته له، فبغيهم تمادى حتى جعلهم ينكرون عليه فروسيته وشاعريته في كلّ وقت وكلّ مكان.

(٣) مبادلة غير منصفة بناء يُقابله هدم، فسيف الشاعر جعل بني عبس مرهوبي الجانب، وذوي مجد شامخ حتى طالوا النجم، فإذا بهم يعملون على تحطيمه وإذلاله.

(٤) إمعاناً في النكاية للشاعر، فهم يركّزون على سواد لونه، يغمزون من ذلك إلى عبوديته وعبودية والدته؛ وسواده كان نجماً يضيء له طريق المجد؛ وفي الحقّ فإن أفعالهم أشدّ سواداً من سواد جلده.

فَـوَا ذُلّ جـيـرَانـي إذا غِـبْـتُ عـنْـهُـمُ
وَطـالَ الـمـدى مـاذا يُـلاقـون مـن بـعـدي[١]؟
أتَـحْـسِـبُ قَـيْـس أنّـنـي بـعـد طَـرْدِهِـمْ
أخـافُ الأعـادي أوْ أذِلُّ مـن الـطّـرْدِ[٢]
وكـيْـفَ يـحُـلّ الـذّلُّ قـلـبـي وَصَـارِمـي
إذا اهـتَـزّ قـلـبُ الـضّـدّ يـخـفـقُ كـالـرّعـدِ[٣]
مـتـى سُـلّ فـي كَـفّـي بـيَـوْمٍ كَـرِيـهَـةٍ
فـلا فَـرْقَ مـا بَـيـنَ الـمَـشَـايـخِ وَالـمُـرْدِ[٤]
وَمـا الـفَـخْـرُ إلا أنْ تـكـونَ عِـمـامَـتـي
مُـكـوَّرَةَ الأطـرَافِ بـالـصّـارِمِ الـهـنـدي[٥]
نَـديـمَـيّ! إمّـا غـبِـتُـمَـا بَـعْـدَ سَـكـرَةٍ
فـلا تَـذكُـرا أطـلالَ سـلـمـى وَلا هِـنْـدِ[٦]

---

(١) يربط الشاعر بينه وبين جيرانه، فإذا غاب عنهم أصبح مصيرهم تتناوشه يد الأقدار، وقد يذلّون لفقدهم النصير المعين.

(٢)، (٣) مشكلة العزلة في وسط صحراء شاسعة لا أنيس فيها، والوحوش تسرح وتمرح تثير الرعب في قلوب الضعفاء، أما الشاعر فالأمر لا يزعزع إيمانه بقوّته، فلديه سيف بتّار يثير الرعب في أعدائه كلما هزّه بكفّه، لذا فإنه لن يذلّ ولم يعرف قلبه الرعب.

(٤) يوم كريهة: زمن الحرب. المُرْد، واحدهم: أمرد؛ الفتى الذي بدأت ذقنه بالظهور. إنه سيف لا يُفرّق بين من شاخ وعلم فنون القتال وبين أغرار لم يختبروا الحروب وأهوالها؛ فالكل مُباح لفتكات سيف عنترة.

(٥) يذكر الشاعر أن عنوان مظاهر الفخر عمامة كُوّرت بسيفه القاطع الهندي دلالة على سيادته وعِزّة نفسه.

(٦) يخاطب الشاعر صاحبيه اللذين ينادمانه، وهم يتناوبون كأس العقار ألّا =

وَلا تَـذْكُـرَا لـي غـيـرَ خَـيْـلٍ مُـغـيـرَةٍ
وَنَـقـعَ غُـبـارٍ حـالـك الـلّـوْنِ مُـسْـوَدّ[١]

فـإنّ غُـبـارَ الـصّـافِـنـاتِ إذا عَـلا،
نَـشِـقْـتُ لَـهُ رِيـحـاً أَلَـذَّ مِـنَ الـنَّـدّ[٢]

وَرَيـحـانَـتـي رُمْـحـي، وكَـاسـاتُ مَـجْـلـسـي
جَـمـاجِـمُ سـاداتٍ حِـرَاصٍ عـلـى الـمـجـدِ[٣]

وَلـي مـن حُـسـامـي كـلّ يـوْمٍ عـلـى الـثّـرى
نـقـوشُ دمٍ تُـغـنـي الـنَّـدامـى عـن الـوَرْدِ[٤]

وَلـيـسَ يَـعـيـبُ الـسـيْـفَ إخْـلاقُ غِـمـدِهِ
إذا كـان فـي يـوْمِ الـوَغـى قـاطـعَ الـحَـدّ[٥]

= يذكرا أطلال سلمى وهند، إذا رجعا إلى الصحوة؛ فذلك يثير آلامه ويُذكّره بالماضي وما كان فيه من آلام وأحزان.

(١)، (٢) يرغب الشاعر إلى نديميه أن يذكرا له سيرة محبّبة إلى نفسه؛ خيلاً تغير على الأعداء، حيث تتعالى الغُبار فتصبغ السماء بلون قاتم السواد؛ فلذلك الغبار ريح يخترق منخريه إلى أن يدخل أعماق مخّه فيسره، وهو ألذّ من ريح الندّ.

(٣) ريحان من نوع آخر، ليس بنبت وإنما رمح مخضّب برائحة دماء الأعداء، وما يسكر الشاعر ليس خمراً معتّقاً وإنما كؤوس مترعة بدماء جماجم سادات يحرصون على أمجادهم بالدفاع عنها.

(٤)، (٥) الشاعر نقّاش فنّان يرسم محنة الموت على تراب تلوّن بلون الورد بسيفه في كلّ يوم، وذلك سيف قد بلي غمده لكثرة تجرّده منه واستعماله في المعركة، وفي الحقيقة لهذا كان وإلّا فلا قيمة لحديدة لا تستعمل وتستهلك في غايتها.

فَـلِـلَّـهِ دَرّي! كَـمْ غُـبَـارٍ قَـطَـعْـتُـهُ
عـلـى ضَـامـرِ الـجَـنْـبَـيـنِ مُـعـتـدِلِ الـقَـدّ[١]
وَطـاعَـنـتُ عـنـه الـخَـيْـلَ حـتـى تـبـدّدَتْ
هِـزَامـاً كـأسـرَابِ الـقَـطـاءِ إلـى الـوِرْدِ[٢]
فَـزَارَةُ! قَـدْ هَـيّـجْـتُـمُ لَـيـثَ غـابَـةٍ
وَلـمْ تـفـرِقـوا بَـيـنَ الـضّـلالَـةِ وَالـرُّشْـدِ[٣]
فَـقُـولُـوا لـحِـصْـنٍ، إنْ تَـعـانـى عَـدَواتـي
يَـبـيـتُ عـلـى نـارٍ مـن الـحُـزْنِ وَالـوَجْـدِ[٤]

فخر الرجال سلاسل وقيود

أُخذ أسيراً في حرب كانت بين العرب والعجم، وكانت عبلة من جملة السبايا، فتذكر أيامه معها وهو في السلاسل والقيود فعظم عليه الأمر، وخنقته العبرة، فقال:

[الكامل]

فَـخْـرُ الـرّجـالِ سَـلاسِـلٌ وَقُـيُـودُ،
وَكـذَا الـنّـسَـاءُ بَـخَـانِـقٌ وَعُـقُـودُ[٥]

(١)، (٢) يعجب الشاعر بما يقوم به، فلطالما قطع المهامه وأثار الغبار على جواد ضامر الجنبين لكثرة التجوال في أرض اللّه الواسعة يخوض الحروب ويتصدّى صاحبه للمقاتلين أسراباً أسراباً وكأنهم طيور القطا تقصد الشرب وترد إلى النهر الجاري بعنف.

(٣)، (٤) يخاطب الشاعر بني فزارة أنهم بأفعالهم أثاروه، أثاروا أسداً يحمي غابة وعريناً يستحيل عليهم الفتك به، ذلك أنهم لم يقدّروا ما هم مقبولون عليه. وهو يطلب منهم أن يُحذّروا حصن بن حذيفة سيدهم وأميرهم ألا يستعديه؛ ففي هذه الحالة سوف يسوق لنفسه ناراً حارقة لا تبقي ولا تذر سوى الأحزان والآلام في النفوس.

(٥) البخانق، واحدها بخنق: برقع ساتر للصدر والعنق. الرجال بحقّ يفخرون =